البَلَمة او البَلَّامات

للدكتور فابوليون ماريني عرَّجا الاب انستاس الكرملي البغدادي

(لفظها اللغوي) قال القاموس : البَلَمة محرَّكة ورَم الشفَة . وزاد التاج : « وقد أبلَمت شفتُهُ ». اقول والبَلَمة في اصل المعنى غير هذا فراجعها في كتب اصحاب اللغة ولم نَرَ مناسبًا ذكرها هنا . وقد أُطلقت على ورم الشفة من باب المشابهة بين الأعراض . واهل بغداد يخصُّون لفظة البَلَمة بآفة تظهر في التِماثين كما سترى . واكثرهم يذكرونها بصيغة الجمع بزيادة الف بعد اللام المشدَّدة فيقولون بَلَّامات تمييزًا لها من البَلَمات لنوع من الزوارق مستطيلة الشكل معروفة عندهم

(أسبابها) البَلَمة او البلأمات داء أحيائي (١ مُعدٍ وافدٌ ناشٍ بين البالغين فُشوَّهُ بين الأطفال . امَّا ذرائع عدواه فهي أدوات الشرب والطعام والتقبيل . وعاملُ العدوى اللُّعاب المحتوي على مَصْليَّة تُغرزها الآفة الوضعية . وهذه المصليَّة بما فيها من الأحيَاء تنقل المرض الى الغير

وكل الناس عُرْضَةٌ لقبول العدوى غير انَّها لا تتمكَّن الَّا في الذين يُرَى فيهم استعداد

---

١) الأحيَاء جمع مكسر مصغر للحيّ والمعنى فيه ظاهر لكل ذي عينين وهو كلّ صغير الجسم ويُراد بذلك الجُيَيْرِيْنات * التي تسبّب او تنقل العدوى في الامراض المُعْدية وهو معنى اسم المكروب الافرنجي (Microbe) وهي لفظة مركبة من (μικρος) اي صغير و (βιος) اي حياة ومحصل معناها الحيّ الصغير او الحُيَيّ . ولا يمكننا ان نفهم كيف ان كتبة العربية الحدثين ادخلوا هذه اللفظة الاعجمية مع انَّهم في مندوحة عن ذلك . فضلًا عن صعوبة الوقوف على معناها والعربية في غنًى عن مثل هذه الالفاظ بما يوجد مؤدًّى معناها فيها . ونظنُّ ان سبب تهافتهم على التقاط هذه الكلمة هو اخذهم اياها عن مجلة علمية عربية سبقت سائر المجلَّات او الجرائد العلمية العربية في ذكر هذا الاسم . ولمَّا كان الناس مفطورين على حبّ الجديد والغريب اندفعوا الى اتخاذ هذه اللفظة تظاهرًا بمعرفة العلم الحديث واسراره ومصطلحاته وتمويهًا على الأغرار السُّذَّج فالاحسن اذًا على ما أرى ان نستعمل بالعربية ما يؤدي معنى اللفظة الدخيلة ويفسرها تفسيرًا جليًّا واضحًا

* (المشرق) : قد تقرَّر اليوم انَّ الباشلوس او المكروب ليست جُيَيْرِيْنات بل جراثيم آليَّة كالقطر

لذلك ومن هؤلاء الناس المبرُودون (١ والمسالع (٢ وكل من فقدت بنيتهُ قوَّة الدماغ العضوي عن الأدواء إثر الذَّقَّه من مَرَض أضعَفَ الدم الخ . والمسيو لومتر (Lemaistre) يسمّي حُبَيَّ هذا المرض السُّبَيحيات (٣ تظهر بهيئة ثُنائية الحبيبة (٤ او بهيئة سلاسل مستطيلة . اما المسيو ريمون (Raymond) فلا يرتاي رأيه بل يذهب الى انهُ من العنقوديات الحبية الشمية البيضاء (٥

(دلائلها) ان معرفة البلمة على ما هي اليوم حديثة . ولم يذكرها الاطباء في كتبهم ولا يُعثَرُ على ما ذكرهُ اطباء الامراض الجلدية الّا بشقّ النفس . وقد وصفها للمرَّة الاولى المسيو لومتر المنوَّه به آنفًا سنة ١٨٨٦ فقد لاحظ هذا النطاسي الخبير في مدارس ليوج في ذلك العهد وافدةً حقيقيةً تمتدّ الى ضواحي المدينة المجاورة . أفهذا يدفعنا الى ان نقول بأن تلك الآفة دخلت فرنسة حديثًا ولم تكن معروفة في تلك البلاد قبل سنة ١٨٨٦ فهذا ما لا يذهب اليهِ المسيو لومتر لان مُجَرَّبات ارض ليوج كُنَّ يعرفن هذه العاهة وكنَّ يُوصين بعض الأنبتة للشفاء منها . ولم تستلفت أنظار الأساة لانها لم تكن من العاهات الفاتكة بالخلائق بل هي محدودة العاقبة وربَّما شُفيَت من ذاتها

ومهما كان من حقيقة امرها فمن المفيد ان نعرّفها حقّ المعرفة لانها تسبب بعض الاحيان عراقيل في الامراض وايضًا اجتنابًا من خلطها بعاهات اخرى أسوأ منها مغبَّةً

ولا حاجة للقول باننا اوّل من تكلم عن هذه العلَّة في لغتنا العربية لاننا لم نعثر على شيء من هذا القبيل في كتب الطب من اصحاب هذه اللغة الشريفة

وتُعرَف البلمة بشقّ غِشائيّ بَشَزِيّ ذاهبًا من الصماغين وممتدًّا الى بشرة الخدَّين واسمها بالفرنسية آفة اللَّطْع (Perlèche) وسميت كذلك لانها تسبب حرقةً تدفع صاحب العاهة الى ان يلطع شفتيه دائمًا . قال ريمون المذكور آنفًا : « انَّ هذه الآفة تبتدئ بتغير

---

١) المراد بالمبرودين الليسفاريون او البانسيون وقد استعملها العرب بهذا المعنى في كتبهم وقد أكثر من ذكر هذه اللفظة بهذا المعنى ابنُ البيطار

٢) جمع سلوع وهم الخنازيريُّون

٣) السبحيات تصغير سُبحَة مجموعة (هكذا) وهي معنى اسم استرَبْتُوكُوكُوس (Streptococcus) وهي ضرب من الدُّوَيرات أُخذ اسمها من تجمعها على شكل سبحة

٤) معنى اللفظة الافرنجيَّة (Diplocoques)

٥) معنى الالفاظ الفرنجية (Staphylococcus cereus albus)

في بَشرَة الصامغين(١ فتندو بيضاء وترتفع ارتفاعاً متفاوتاً بدون ان يكون فيها حُوَيصلات حقيقية فهي ضرب من الغِشاء الرقيق الضارب الى البياض بارز متثنٍ حاصل من تهرُّؤ البشَرة يُرى في الصمغين. والبشرة في ذلك المكان مُتَورِّمة مقيدة الحركة ناهدة. ثم ان الآفة تنتشر الى ما فوق والى ما تحت الصَّامغَين الى مسافة تتغيَّر بين ملمتر واحدٍ (اي اعرض من الشعرة بقليل) الى بين نصف سنتيمتر من فوقُ كما من تحتُ كأنَّ هذه العلَّة التي لا تقبل الإسفاف في نفسها (٢ تهجم على جهتي الصامغين القريبتين منها. فيسهل سقوط البشرة كأنها تَنحلُّ عن غراه. واذا سقطت البشرة بانت الأدَمة مُمرَّاة. ثم تأخذ الآفة بالتقدّم إن في السطح وان في العمق. ثم يناجنها شقّ معهدهُ ثِنيَةُ الصمغتين نفسها. وقد يكون هذا الشقّ وحيداً واغلب الاحيان يكون شقَّين او ثلاثة شقوق فوق الشقّ الاصلي وتحتهُ. وهذه الشقوق تكون حينئذٍ اقلّ غوراً من الشقّ الاصلي ثم تمتدّ الآفة الى حافة الشفتين لكنها لا تتعدَّى ابداً ثلاثة ارباع السنتيمتر من ثِنية الصماغين وتُفضِّل البَلَمة امتدادها الى جهة الوجه الجلدية من الشفة على جهة الغشاء المخاطي وربَّما أُصيب الغشاء المخاطيّ نفسه بهذه العلَّة وفي كثيرين من الوُلد يُرى في الشدق في جهة باطن الصامغين نُتوءات صغيرة بَشريَّة ضاربة الى البياض. ومن المعهود في هذه الآفة ان مجلسها الصماغان وربما كانت في جهةٍ واحدةٍ من ملتقى الشفتين. وعلى كل حالٍ ان اشتدَّت وان ضعفت تكون في درجة واحدة في الصامغين من شدّةٍ او ضعفٍ بدون ان تقوى الجهة الواحدة على الجهة الاخرى وهذا في اغلب الاصابات». انتهى كلامه

وهذه الآفة لا تؤلم الَّا شذوذاً بل هي متعبة مزعجة تمنع صاحبها من فتح الفم المقيَّد الحركة وتبقى الشفتان يابستين محرقتين. وهذا ما يدفع المصاب بهـا الى بلها بدون انقطاع وحينما يكون الشقّ غائراً يحدث عند فتح الشفتين تريف طفيف وفي الليل يملو الحلّ المصاب قشور صغيرة محاطة بهالةٍ التهابية ضاربة الى الحمرة ونادراً يحدث اكتظاظ الغُدُد التي تقابلها

---

١) الصامغان او الصِّمغان او الصَّمغتان او الصماغان او الصامغتان شيء واحد وهما جانبا الفم اي ملتقى الشفتين وما يلي الشدقين (راجع التاج)

٢) يقال أسَفَّ الجرح دواء اذا ادخلهُ فيه. ويُعرَّف الإسفاف عند العامَّة بالتطعيم او التلقيح

فهذه هي فصول البلسة المميّزة العامّة . وقد تتقاصُ اعراض هذه العلّة بما يشاركها من الامراض فتظهر حينئذٍ بمظهر يختلف عمّا سبق ذكرهُ فقد تجتمع مع النضح (١ والتهاب الشدق (Stomatite) والخناق والداء الزُهَري (٢ وتشتدُّ وطأتها في الخناق وتظهر حينئذٍ بهيئة طبقات صغيرة تتجمّع على غشاء الخدّين المخاطي وعلى اللسان او على طريق الهضم . واتفاق التهاب الشدق والنضح مع البلسة ليس نادرًا . وفي اغلب الاحيان يجهل وجودها الاطباء لاختفائها تحت ستر هذا الاتفاق فتتوارى عن ابصارهم

وقد رأيت في بيروت مدّة إقامتي فيها طلبًا للطب في المكتب الفرنسي العامر بعض إصابات في الاولاد وبالاخصّ في طلبة المدارس . وفي بيروت كما في سائر البلدان لا يكترث بها الاهلون

اما في بغداد فالبَلَسة فيها مشهورة اكثر من اشتهارها في بيروت واكثر منها انتشارًا وقد رأيتها بالخصوص في البالغين اكثر ممّا رأيتها في الاولاد

ومن الظاهر ان اصحاب الحَرَض (٣ ذوو استعداد مناسب لظهور هذه العلّة فيهم . واذا بانت فيهم احبّت الاقامة عندهم فمن اللازم اذًا على الطبيب ان يفتّش عن الحَرَض في البالغين اصحاب البلسة ليتيسّر لهُ شفاؤهم بمعالجة حَرَضهم اوّلًا لتغيير مياهة الداء ثمّ ينتقل بعد ذلك الى تطبيب العلة

---

١) النَضح هو اسم عندنا للعلة المعروفة عند الافرنج بالامبتيكو (Impétigo) ومن المعلوم عند اللغويين ان استعمال كلمة عربية عامّيّة اصطلاحيّة خير من إدخال لفظة اعجمية في العربية لان المولّد من اللغة ليس الّا العاميّ اتفق على اتخاذه ادباء القرن ولغويّوهُ (طالع المزهر للسيوطي الصفحة ١٤٥ وما يليها من الجزء الاوّل)

٢) واخطأ من قال الزُهَري بفتح الاول وأسكان الثاني

٣) الحَرَض لغةً مصدر حَرِض بحرض قال القاموس . الحَرَض (محرّكة) الفساد في البَدَن وفي المذهب وفي العقل (اه). والمراد بهِ هنا الفساد في البَدَن تقريبًا للفظة (Arthritisme) وفساد البدن في اغلب الأوقات يكون من فساد في المعدة او من بطوء تحويل الغذاء الى جوهر بدن الانسان . قال صاحب التاج في حَرِضَ : وحرض الرجل فسدت معدتهُ (اه) . ومن لا يعلم بانّ من فساد المدة ينشأ ايضًا فساد البدن . ومن فساد البدن قد يفسد في بعض الاحيان المذهب والعقل . اما معنى اللفظة الافرنسية (Arthritisme) فقد قال احد علماء الافرنج ما معناه بحرفيّتهِ : الحَرَض حالة في البنية ناشئة عن بُطوء الاغتذاء يتولّد منها القرس والحصاة والبُوَال والرَبالة والمَغَصُ الكبديّ والرئيسة وبعض الامراض الجلدية

ويظهر لي ان في فصول السنة شيئاً من التأثير في اثارة هذه الرافدة فانَّ البلة تظهر على الأخص في الربيع وفي اشتداد الحرّ ولعلّ سبب ذلك ما يفعلهُ الهواء في تفريخ الأحياء مُولّداتِ الامراض. وفي حمارَّة الحرّ يغلب على الناس معاودة الشرب فيجرعون من الماء ما طاب وما خَبُثَ وبإناء نظف أو قذر وكني بذلك عاملاً نقّالاً للعدوى وللأمراض

وقد يتلوّن الماء نفسهُ بالذُرَيرات (المكروكوكس) المَرَضيَّة. قال المسيو لومتر في هذا الصدد: «انَّ في المياه الراكدة والينابيع والبئار الآجنة الماء تعيش فيه هذه العُضويات بهيئة ذُرَيرات فُستقي بالدلاء او الجرار وتحمل الى المطابخ فتنمو في هوائها الحارّ وتتشكّل باشكال السلاسل. فهي هناك في أحسن بيئة من النموّ لانَّ هذه الاواني لا تُغسل ابداً غسلاً حسناً

«اما الاقداح الخشبية الدائمة النداوة فلا تخلو من ان تكون مثاوى وبها يشرب الضيف وكل اهل البيت فيصبح القَدَح آلة تنقل الى شفتي الطفل او البالغ حُمّيَّ المرض واذا كان الشارب ممَّن بهم البلة فيودع القدحَ أحياءً على أحياء ومنهُ ينتقل الى القَدَس او السطل ومنهُ الى مُستقي الماء.» اه

ونُشوء البلة سريع ومدّتها من اسبوعين الى ستة اسابيع وحينئذٍ تبتدئ في ان تشفى من ذاتها وتُبقي بعد الشفاء نَدَبَةً بيضاء صقيلة لمّاعة خاصّة بها وتبقى كذلك مدّة اشهُر والعلّة ليست مُعضلةً ما لم يجتمع معها علة أُخرى

(تشخيصها) وكيف تُميَّز البلة من سائر الامراض التي تشبهها وتهجم على الصامتين؟ فتميزها عن العُقَيْبُل الشفوي (Herpès labialis) بان فصول هذه هي حويصلات تاتئة متجمّعة يخلفها تقرّح كثير الدوائر. ومن النضح بانَّ علاماتهِ طبقات متقشرة اكثر ما تكون بهيئة شقّ. ومن القوباء القشرية الناقطة المستديرة(١ بان مدّتها اطول من مدّة البلة. واما التهاب الشدق الشبيه بالخناق (Stomatite diphtéroïde) الذي مجلسهُ الشفتان والصماخان فيشخَّص بالبحث عنهُ بحثاً مجهريًّا وبالاستنبات او الاستفراخ

ومن احسن ما جاء في هذا الباب ما قالهُ المسيو بلانش (R. Planche) في

---

١) وهي القوباء ذات النقط المماة ايضاً بالقُوَباء الحبية والقوباء القشرية او الاكزيما

أطروحته الاستفتاحية الغرّاء (١ ويكون التشخيص صعباً بل معتصياً عند ما يحاول الطبيب تمييز البلسة من الصفائح المخاطية (Plaques muqueuses) . فاذا ركن الى مبادئ التشخيص التي اتى بها المؤلفون للفصل بين هاتين العلّتين يُصبح متحيّرًا. فقد قال المسيو كومبي (Comby) : ان الفرق الفاصل الذي يُعتمد عليه قائم على تغايرٍ في اللون اذ لون الصفيحة المخاطية ضارب الى البنفسجية . واما المسيو كيبر (Guibert) فانهُ يميز البلسة من الصفائح المخاطية الصماغية بجلاسها الضيق وغورها من الشقوق الغائرة وعمر المصابين بها . فهذه كلها تفاوتات بسيطة لا يُركن اليها اذا اراد الطبيب ان يحسم مسئلة هذه اهميتها . وعليه فيتحتّم علينا ان نُقرّ بانهُ لا يوجد علامة فاصلة تمكننا من تمييز البلسة من الصفائح المخاطية وهذا ايضاً راي المسيو فورنيه (Fournier)

لكن في بعض الامور والاحوال الطبية الشرعية يلتزم الطبيب في ابداء رأيهِ من قبيل طبيعة العلة فعلى اي علاماتٍ يستند ؟ فاعلم هدانا الله واياك ان الصفائح المخاطية قلما تكون وحدها . وهي في اغلب الاحيان من آثار الداء الزُهري . ولهذا يكون معها دلائل اخرى لا بدّ من وجودها وتمييزها من البلسة فعلى الطبيب الشرعي ان ينقب عنها . فمنها اثر البثرة الصلبة الاولية (Chancre primitif) وصفائح اخرى مخاطية تُرى في أرجاء مختلفة والحميرا الحفيفة والهزال والصداع وداء الثعلب . فاذا لم تكن واحدة من هذه العلامات مع الصفائح المخاطية حُكم بوجود البلسة

(معالجتها) احسن واسطة عندي ان تُعتمد البلسة بمُلَيّن من الزنجارة (٢ مرة كل يوم الى ان يتمّ الشفاء . وقد اوصى المسيو بُرُوك (Brocq) الاغتسال بمحاول مُضادّ للتعفّن مهما كان والتضمّد بأمّ الأدهان (٣ مُداف فيها شيء من البَرْوَق

وقبل هذا يجب ان يُعزَل المريض ويُحظر عليهِ دخول المدرسة والاختلاط مع بقية الاولاد ولئم الغير ان كانوا من اهل بيته او من غيرهم وان يُعزل لهُ ما يحتاج اليهِ من الاثاث والادوات وغير ذلك مما هو من بابه

---

١) الاطروحة المسئلة تطرحها (التاج) ويُراد بها اليوم مسئلة يطرحها اصحاب المدارس على طلبتهم ليعجموا بها عودهم ويستقصوا بها مترائبهم من العلم وهي المسماة عند الافرنج (Thèse)

٢) الزنجارة عندنا هي المسماة عند العرب باسم الزاج الازرق او الزاج القبرسي والمعروفة عند معاصرينا بكبريتات النحاس ٣) هو اسم يُطلق مستقطَر النفط الاميركي المعروف بالغازلين وسمي كذلك لان الادهان تتّخذ منها